الرسالة

(١ كورنثوس ١: ١٠–١٧)

يا إخوةُ أطلُب إليكم باسمِ ربِّنا يسوعَ المسيح أن تقولوا جميعُكم قولاً واحداً وأن لا يكونَ بينكم شقاقاتٌ بل تكونوا مكتملينَ بفكرٍ واحدٍ ورأيٍ واحدٍ* فقد أخبرَني عنكم يا إخوتي أهلُ خُلُوي أنَّ بينَكم خصوماتٍ* أعني أنَّ كلَّ واحدٍ منكم يقول أنا لبولُسَ أو أنا لأبلُّوسَ أو أنا لصفا أو أنا للمسيح* ألعلَّ المسيحَ قد تجزَّأ. ألعلَّ بولسَ صُلِب لأجلِكم أو باسمِ بولسَ اعتمدتم* أشكُرُ الله أنّي لم أعمّد منكم أحداً سوى كرِسبُس وغايوس* لئلاَّ يقولَ أحدٌ إني عمَّدتُ باسمي* وعمَّدت أيضاً أهلَ بيتِ استفاناس. وما عدا ذلك فلا أعلمُ هل عمَّدتُ أحداً

«الأمومة المتألّهة»

ظهر، في القرن الرابع عشر، القدّيس غريغوريوس بالاماس (١٤ تشرين الثاني، والأحد الثاني من الصوم الكبير)، عبر عددٍ كبير من مؤلّفاته ومراسلاته وعظاته، مدافعًا شديد البأس عن الإيمان القويم، لا سيّما في المسائل الإيمانيّة التي كانت قد شهدت، في الغرب، تحريفًا أو تأويلاتٍ جديدة. في هذا السياق، أفرد قدّيسنا حيّزًا مهمًّا للكلّيّة القداسة والدة الإله في فكره وتعليمه النابعَين من تأمّله العميق والبالغ الواقعيّة في سرّ «الأمومة المتألّهة»، الذي على أساسه نشأت عبارة «والدة الإله» في المجمع المسكونيّ الثالث، وثُبِّتت كعقيدة. لقد حلّ ابن الله في أحشاء البتول مريم، وعبرها تجسَّد كإنسان، تاليًا لا يمكن فصل شخص المسيح عن شخص أمّه.

مع أنّ القدّيس غريغوريوس غالبًا ما رأى، في الكلّيّة القداسة، صفاتٍ قد تبدو محصورةً بالمسيح وحده، لكنّه، بانسجام تامّ مع تعاليم الآباء قبله والتقليد اللّيتورجيّ، لم ينظر إلى مريم كشخصٍ منفردٍ على أنّها «الفتاة التي ولدت الإله». كان سرّ الأمومة المتألّهة لدى القدّيس غريغوريوس، كما في الوجدان الكنسيّ، وجهًا وأساسًا للعقائد الإيمانيّة المختصّة بالطبيعتَين الإنسانيّة والإلهيّة في المسيح. فمن دون مريم، ما كان لاتّحاد الطبيعتَين أن يتحقّق في الربّ يسوع.

العدد ٢٠١٩/٣٢

الأحد ١١ آب

تذكار الشهيد إفبلُس الشماس

والقديس نيفن القسطنطيني

اللحن السابع

إنجيل السَحَر الثامن

العذراء مريم، في فكر القدّيس غريغوريوس وتعاليمه، هي «منبع نسل الحرّيّة وجذره» (أي نسل المنقولين من أسر الخطيئة إلى حرّيّة أبناء الله). وجسدُها، الذي اختاره الآب السماويّ هيكلًا لابنه الوحيد، صار «الترياق (دواء يقاوم تأثير السموم) الذي يشفي جنسنا من سمّ الحيّة». أُعطي للعذراء مريم وحدَها، دون كلّ المخلوقات، أن تتوسّط الطبيعتَين المخلوقة وغير المخلوقة. إنّها بدء تحقيق الخلاص، والنافذة التي منها رأى الأنبياءُ الكلمةَ متجسّدًا، وهي سند الشهداء الذين، بموتهم الطوعيّ، غلبوا بذرة الموت الموروثة. كذلك، يتأمّل القدّيس غريغوريوس في نبوءة النبيّ إشعياء (٦: ٦) فيرى أنّ

العذراء مريم هي الملقط الذي حمل الملاكُ به الجمرةَ التي تزيل الإثم وتطهّر من الدَنس، والجمرة في تقليدنا الشريف هي المسيح نفسه. نشير هنا إلى أنّنا نجد بين مواعظ قدّيسنا التعليميّة، عظةً مطوَّلة يؤيّد فيها تقليدًا آبائيًّا راج منذ القرن الرابع، وهو أنّ المسيح يسوع خصَّ والدته بأوّل ظهور له بعد القيامة. لا بد لهذه الطّاهرة أن تكون أوّل الفرحين بقيامة ابنها وأوّل الشهود على ظفَره، هي التي مُيّزت بسكنى الإله في حشاها وحملت بصمت ألم السيف الجائز في نفسها (لو ٢: ٣٥) إذ شاركت ابنها نزاعه على الصليب.

قدّم القدّيس غريغوريوس تعظيماتٍ وافرة للكلّيّة القداسة، وقد أتى معظمها بأسلوب شاعريّ وجدانيّ، لكنّها انصبّت كلّها على دور العذراء في التجسّد لا على شخصها معزولًا. إكرام القدّيس غريغوريوس للكلّيّة القداسة مريم ليس فيه «تأليه» لها البتّة، لكنّه شهادة على محوريّة المسيح في إيمان القدّيس غريغوريوس وفهمه لتدبير الله الخلاصيّ. إكرام العذراء مريم موجَّه، في جوهره، إلى الإنسان–الإله الذي ولدَته، وكلّ إكرام ينحصر في شخصها من دون سرّ الأمومة المتألّهة يكون انحرافًا عن المبادئ والعقائد الإيمانيّة.

تبرز في دور والدة الإله في التدبير الخلاصيّ مسألة بالغة الحساسية، هي مسألة تهيئة الله لها لاقتبال ابنه الأزليّ في حشاها. عالج القدّيس غريغوريوس هذه المسألة بوضوح ودقّة بالغَين. فالّتي سوف تلد «الأبرع جمالًا من بني البشر» (مز ٣: ٤٤) لا يسعها إلّا أن تفوق سائر المخلوقات طهرًا وبهاءً. يقول قدّيسُنا: «الله يستحيل عليه أن يتّحد بما هو ليس فائق الطهارة». في ذلك الوقت، أساء البعض فهم ما قصده القدّيس، فرأوا في إعلانه هذا تطابقًا مع عقيدة الحبل بلا الدنس التي أقرّها الغرب اللاتينيّ في القرن العاشر، لا سيّما أنّ جذر الإعلانَين ومرتكزه هو أنّ بشريّة المسيح المنزَّهة عن كلّ عيب لا يمكنها أن تولد إلّا من حشا بشريّ منزَّه عن العيب أيضًا. القدّيس غريغوريوس، رغم عمق تقواه تجاه والدة الإله، لم يحِد عن إيمان الكنيسة بمركزيّة الخلاص وحصره في المسيح، إذ العذراء استمدّت طهرها وبهاءها من المسيح المزمع أن يولد منها. لقد وُلدت مريم من أبٍ وأمٍّ تحت الناموس كسائر الناس، أمّا المجد الذي انسكب عليها فكان نتيجةً لأمومتها الفائقة الوصف، وليس سابقًا لها. ماتت العذراء مريم موتَ البشر كابنةٍ لذرّيّة آدم، لكنّها تمجّدت في جسدها الذي صار، بفضل أمومتها للربّ يسوع، منزّهًا عن الفساد. يقول القدّيس إنّ مريم، خلال الفترة التي عاشتها في الهيكل، لم تتأمّل في تَمَيُّز ما خصّها الله به، بل في طبيعة خطيئة الجدَّين الأوَّلين. يقول القدّيس غريغوريوس في إحدى عظاته عن رقاد الكلّيّة القداسة والدة الإله، بحزم ووضوح، إنّ الله، لحظةَ البشارة، نطق بفم الملاك بالكلمات التي نقضت لعنة آدم وحوّاء، وحوّلتها إلى بركة.

«أعطوهم أنتم ليأكلوا»

نسمع في إنجيل اليوم (مت ١٤: ١٤–٢٢) أنّ الربّ يسوع أبصر غيرهم* لأنَّ المسيحَ لم يُرسلني لأُعمِّدَ بل لأبشِّرَ لا بحكمةِ كلامٍ لئلاَّ يُبطَلَ صليبُ المسيح.

الإنجيل

(متى ١٤: ١٤–٢٢)

في ذلك الزمان أبصرَ يسوعُ جمعاً كثيراً فتحنَّنَ عليهم وأَبْرَأَ مرضاهم* ولمَّا كان المساءُ دنا إليهِ تلاميذُهُ وقالوا إنَّ المكانَ قَفْرٌ، والساعةُ قد فاتَت فاصْرِفِ الجموعَ ليذهبوا إلى القرى ويبتاعوا لهم طعاماً* فقال لهم يسوعُ لا حاجةَ لهم إلى الذهابِ أَعْطوهُم أنتم ليأكلوا* فقالوا لهُ ما عندنا ههنا إلَّا خمسةُ أرغفةٍ وسمكتانِ* فقال لهم هلمَّ بها إليَّ إلى ههنا* وأمَرَ بجلوسِ الجموع على العشبِ. ثمَّ أخذَ الخمسةَ الأرغِفَةَ والسمكتينِ ونظرَ إلى السماءِ وباركَ وكسرَ وأعطى الأرغِفَةَ لتلاميذِهِ والتلاميذُ للجموع* فأكلوا جميعُهم وشبعوا ورفعوا ما فَضُلَ من

الكِسَرِ إثنتَيْ عَشْرَةَ قُفَّةً مملوءَةً* وكان الآكِلونَ خمسَةَ آلافِ رجلٍ سوى النساءِ والصِبيان* وللوقتِ اضطرَّ يسوعُ تلاميذَهُ أن يدخلوا السفينةَ ويسبِقوهُ إلى العَبْرِ حتى يصرِفَ الجموع.

تأمل

بما أنّ الجميع يخطأون، فيجب على الجميع أن يغفروا. لنُعطِ بلا صعوبةٍ ما قد تلقّيناه نحن أنفسنا بفرح (مت ١٠: ٨)، عندئذٍ، بقدر ما نكون رحماء، سواء بوفرة الصدقات أو بنسيان الزلّات، هكذا نصير أبرياء على الوجه الأكمل.

«أطلب إليكم باسم ربنا يسوع المسيح أن تقولوا قولًا واحدًا وأن لا يكون بينكم شقاقات».

يحدّد الربّ شروط غفرانه في إلزامه أيّانا بأن نترك لمدينينا ما لنا عليهم، كما نطلب نحن بأن يُترك لنا ما علينا. جموعًا فتحنّن عليهم، ثمّ أبرأ مرضاهم وأشبعهم. حنان الربّ، النابع من رحمته، هو سرّ إلهيّ عظيم. يتميّز الله الفائق القوّة والقدرة أيضًا بعظيم تحنّنه، والحنان ليس علامة ضعف. يُظهر الله عظمته وقوّته ومجده من خلال رحمته وتحنّنه.

رحمة الله هي انعطافه نحو البشر، وانسكاب رحمته الإلهيّة على الخليقة، وانحداره إلى ترابيّتنا. إنّها تنازله ليصبح بمتناولنا، هو الذي لا يمكن الإرتقاء إليه ولو بالعقل. رحمة الله وتحنّنه هما مجده الساطع بلا انقطاع على الذين يحبّونه. يسكن الله كلّ نفس بشريّة بالرحمة والحنان، ويجعل الإنسان هيكلًا لقدسه. يجتاح الله كلّ حياتنا بالرحمة، مثلما يطوف النور ليغمر كلّ الزوايا وينير كلّ الخفايا. يغمرُنا الله الكلّيّ الكمال بنور رحمته، ويُدخلنا في شركته الإلهيّة.

الإشكاليّة المطروحة على الإنسان هي كيفيّة قبوله هذه الشركة الإلهيّة ودخوله فيها، وهو غارق في لجّة الأحزان. إنّ الشقاء والحزن والقلق والألم خبزٌ يوميّ لكلٍّ منّا، كما أنّ كلًّا منّا يعتقد أنّه الوحيد الذي يعاني، رغم معرفتنا بأنّ الشقاء ملازم لطبيعتنا وأنّ هذه هي حال كلّ البشر. لا أحدَ منّا يعرف سرّ معاناة الآخر في وحدته، فيعتقد كلٌّ منّا أنّ الله نسيه ويصرخ: «إلهي لا تصرف وجهك عنّي، أنر ظلمتي».

الله لا ينسانا، لكنّه يسمح بالآلام لأنّها نافعة ومفيدة. يقول القدّيس يوحنّا الدمشقيّ إنّ المرض «افتقادٌ» من الله. أي كما يفتقد الإنسان أخاه ويزوره بدافع المحبّة عندما يكون في ضيق وشدّة، هكذا يسمح الله (يفتقد) بأن نمرّ في المرض والشدّة لكي نعي حقيقة ذواتنا وحنان الربّ، فنقترب أكثر من العزّة الإلهيّة. يتجلّى حنان الربّ ورحمته من خلال الآلام في حياتنا لأنّنا نتعرَّف على هذا الحنان من خلال عمل ملموس. لقد تجلّت رحمة الرب وحنانه في إنجيل اليوم من خلال شفاء المرضى وإشباع الجياع وهكذا يمكننا القول أنّ رحمته تبرز أكثر في حالات شقائنا وتعبنا. فلنطرد عنّا كلّ تشكيك وعدم إيمان ولنسأله حاجتنا وهو يستجيب. لا داعي لأن نكثر صراخنا نحوه: «وحينما تُصلُّونَ لا تُكرِّروا الكلامَ باطِلًا كالأمم. فإنَّهم يظنُّون أنَّه بكثرةِ كلامِهم يُستجابُ لهم. فلا تتشبَّهوا بهم لأنَّ أباكم يَعلَمُ ما تحتاجونَ إليه قبل أن تسألوهُ» (مت ٦: ٧ و٨). الله يعرف ماذا عليه أن يصنع، ويفعله في أوانٍ مناسب وبشكلٍ موافق. فلنلقِ عليه رجاءَنا وهو يتدبّر كلّ أمورنا ويُسكن قلوبنا في مساكن الراحة ونفوسَنا في هدأة السكون: «أطلبوا أوّلًا ملكوت الله وبرَّه وهذه كلُّها تُزاد لكم» (مت ٦: ٣٣).

أيضًا، يطلب منّا الربّ اليوم أن نُطعم الجياع ونشفي المرضى ونقيم الموتى. قد يقول البعض إنّ إقامة الموتى أمر مستحيل، لكن هل يطلب منّا المسيح شيئًا فوق طاقتنا؟ يطلب المسيح أمورًا بسيطة: «أطعموهم أنتم ليأكلوا». إن أطعناه في الأمور البسيطة فهو يمنحنا تلك التي تكون أصعب منالًا: «الحقّ أقول لكم، إن كان لكم إيمان ولا تشكُّون فلا تفعلون أمر التينة فقط بل إن قلتم لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر فيكون.

وكلّ ما تطلبونه في الصلاة مؤمنين تنالونه» (مت ٢١: ٢١-٢٢). لا يريدنا السيّد أن نبتاع للجائع خبزًا، بل يريدنا أن نُطعمه نحن، أو، إذا صحّ التعبير، أن نصير خدَّامًا لهم. يريدنا أن نتصرّف على صورته، هو الذي أخذ الخبز وشكر وبارك وقدّس وكسر وأعطى. الخبز الذي أعطاه هو جسده، هو ذاته: «الخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم» (يو ٦: ٥١).

إن قرّرنا تكريس ذواتنا للآخرين وللربّ، نقول له: أنا منك يا ربّ خرجت، فأعدني إليك. أنا عارف بإثمي وضعفي وفقري وإهمالي للمواهب التي أعطيتني إيّاها، إلّا أنّك أنت قوّتي ورجائي فلا أخزى. يقول كثيرون إنّهم يهتمّون بالمساكين والفقراء، هذا أمرٌ جيّد، لكنّ السيّد يطلب منّا أكثر، يريدنا أن نكرّس ذواتنا لإخوته «هؤلاء الصغار»: «لأن بما أنّكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم» (مت ٢٥: ٤٠). يريدنا أن نكون له بالكلّيّة، من خلال خدمتنا وتكريس ذواتنا لهم. يريدنا أن نصبح خبزَهم في جوعهم، ودواءَهم في مرضهم، وماءَهم في عطشهم، وبيتَهم في أرض غربتهم. كيف نكون كذلك ونفوسنا مقفرة وليس لدينا سوى خمس حواسّ بهيميّة إضافةً إلى يدَين فارغتَين؟ يقول الربّ: «هلمّ بها إليّ»، وهو يبارك مواهبنا ويكثّرها ومنها يشبع كثيرون ويفضل عنها الكثير.

فنحن لا نستطيع أن نطلب مغفرة خطايانا إلاّ إذا تصرّفنا بالمثل تجاه مدينينا... والله إنّما يأمرنا بحفظ السلام والوئام في بيته، وبالعيش وفقًا لنواميس الولادة الجديدة، وإذ أصبحنا أبناء الله علينا صَون كلام الله. فلا بدَّ من أن تطابق وحدةُ النفوس والقلوب وحدةَ «الروح». ذلك أن الله لا يقبل الذبيحة من المحرِّضين على الشقاق، بل يُرجعهم من المذبح ليتصالحوا وإخوتهم أولاً، إذ يريد الله أن يسالَم بصلوات سلام. القربان الأحسن لله إنّما هو سلامنا ووئامنا ووحدة الشعب المؤمن بأسره في الآب والإبن والروح القدس.

فليفرح المرء إن وجد أحدًا يغفر له، لكي ينال هو نفسه غفرانه.

القديس كبريانوس

مناجاة

يا والدة الإله أنيريني بنور وجهكِ الإلهيّ، أنا الراقد في ليل التواني. وهبيني ندمًا، أيّتها السيّدة، وأنينًا لا يهدأ، ودموعًا، راحضةً دنس نفسي، ومُسبِغةً عليّ العتق في آخر المطاف. وبما أنّك وُجدت إنسانًا لابسًا اللاهوت وولدت إلهًا لابسًا الناسوت، أتطلّع إليك يا مريم البريئة من كلّ عيب، بعينين متهوّرتين، وأفرح. يا قوّة عبدك، ورجاءه الذي لا يَخزى، وحياته، ونوره اللطيف، أنصتي إلى صلاتي هذه، من لسان دنس وفم قذر. إذ ها أوان المعونة فخلّصيني، من الأهواء والزلّات والمضايق. وليفرح بي الآن الملائكةُ أيّتها السيّدة مع الأرواح الأمينة (لو ١٥: ١٠).

القديس يوحنا الدمشقي

عيد رقاد السيدة

تعيّد كنيستنا المقدسة في ١٥ آب لرقاد سيدتنا والدة الإله الدائمة البتولية مريم. للمناسبة يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الأربعاء ١٤ آب وخدمة القداس الإلهي عند العاشرة من صباح الخميس ١٥ آب في كنيسة نياح السيدة في رأس بيروت.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb